الله أن يكتبهم في زمرة الشَّاهدين الَّذين شهدوا على صدق، ما جاء به رسولهم، وعملوا وفق ما جاءهم به من أحكامٍ وشرائع.

وقد امتدح الله حواريي المسيح عليه السلام، وجعل منهم مثالاً للمؤمنين الصَّادقين الَّذين نصروا نبيَّهم وآزروه، وأخلصوا لدعوته معه ومن بَعْدِه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

الخطاب للمؤمنين من أمَّة محمَّدٍ ﷺ يحثُّهم على نصرة دين الله وتحمُّل المشاق من المشركين من أذًى وسخرية وما يترتَّب على ذلك من جهدٍ وبلاءٍ في سبيل إعلاء كلمة الله، كالَّذي كان من الحواريين مع نبيِّهم عيسى ابن مريم عليه السلام.

قصَّة المائدة:

قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ

﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

الحواريون بشرٌ مَّمن خلق الله، أكرمهم الله بأن جعلهم أنصار دينه ونبيِّه عيسى ابن مريم عليه السلام، نجدهم يدخلون في محاورةٍ مع نبيِّهم يطلبون آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بما جاءهم على لسان نبيِّهم. فقد سألوه أن يدعو ربَّه أن يتِّرل عليهم مائدةً من السَّماء، وقد كان ذلك لتأثرهم ببعض طباع قومهم الماديين.

فذكَّرهم المسيح بتقوى الله، وأن يلتزموها إن كانوا مؤمنين بما جاء به. فحدَّدوا له أغراضهم منها في أربع نقاطٍ: الأكل منها، ولتطمئنَّ قلوبهم، وليعلموا صدق نبيِّهم فيما جاءهم به، وليكونوا عليها عند بني إسرائيل من الشَّاهدين على صدق نزولها لتكون لهم آيةً.

فتوجه المسيح عليه السلام إلى ربِّه يدعوه، ويطلب منه أن يتِّرل عليهم مائدة من السَّماء، وذكر لذلك سببين:

الأوَّل: لتكون ذكرى نزولها عيداً يعتاده بني إسرائيل كلَّ عامٍ، الأوَّلون منهم والآخرون فيه تبصرة لهم وذكرى وتثبيت.

الثَّاني: لتكون آيةً حسِّية أخرى تضاف إلى الآيات السَّابقات منك للتَّدليل على كمال قدرتك وعظيم مشـيئتك، وهي أيضاً تدعيمٌ لموقفـي معهم على صدق ما جئت بـه عنك، وحجَّة عليهم يوم القيامـة. وارزقنا يا أالله عليها من الـرِّزق ما يعيننا على طاعتك واتِّباع مرضاتك، إنَّك يا أالله خير من يرزق عباده ويتولاهـم ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

وقد منَّ الله على نبيِّه عيسى عليه السلام بإنزال المائدة، وعبَّر باسم الفاعل لتحقيق الوعد بالإنزال، وهدَّد من يكفر منهم، بما جاء به عيسـى بعد إنزالها تهديداً شديداً بعذابٍ شديد، خاص بهم دون غيرهم من عالمي زمانهم.

روى ابن جرير عن عبدالله بن عمرو قال: إنَّ أشـدَّ النَّاس عذابـاً يوم القيامة ثلاثـة: المنافقون، ومـن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون[1].

وآيات الله ثلاثة أنواع: الأوَّل: مُلْزِمٌ، يَلْزَم مَن جَاءتهم الآيات باتِّباع الرَّسول والأخذ بما جاء به من التَّكليف، مثل الآيات الَّتي جاء بها عيسى ابن مريم لبني إسرائيل من إحياء وإبراء وإنباء.

(١) قال أحمد محمَّد شاكر في (عمدة التَّفسير عن الحافظ ابن كثير)، ج٤ ص٢٦٣: (إسناده صحيح، ولكنَّه موقوف من كلام عبدالله بن عمرو بن العاص)...

الثَّاني: آيات اقتراحية يقترحها المكلَّفون بعد آيات الإلزام، فتصير مُتحاكَماً إليها، إمَّا أن يؤمنوا بها وإمَّا أن يَهلكوا، كالمائدة الَّتي اقترحها الحواريون، وكطلب مشركي مكة من الرَّسول ﷺ أن يحَوِّل لهم جبل الصَّفا ذهباً.

الثَّالث: آيات إلجائية، فهي الَّتي فيها الإكراه من الله على الإيمان، كالدَّابة الَّتي تخرج عند قرب قيام السَّاعة، حينذاك لا ينفع الإيمان لنفسٍ لم تكن قد آمنت من قبل، ولا تنفع التَّوبة. قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]. ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢].

ففي إنزال المائدة اشترط الله للاستجابة إليها شرطاً، وهو أنَّ من آمن بها نجا، ومن كفر بها عذَّب عذاباً شديداً لم يعذِّبه أحداً من العالمين. فهل استجابوا للشَّرط أم وقفوا؟ وهل نزلت المائدة فعلاً أم لم تنزل؟ لم ينصَّ القرآن على شيءٍ من ذلك، ولا السُّنة الصَّحيحة، والله أعلم.